

من شعراء (هَجَر) المبدعين .. لأستاذ حسين بن عداً المبارك

هو الأستاذ حسين بن عداً بن حسين المبارك ، رجل في غاية التهذيب والتواضع والإيمان والورع والثقافة الواسعة الواعية ، من مواليد بلدة (القرين) بالأحساء عام 1382هـ ، حاصل على بكالوريوس من كلية إعداد المعلمين و يعمل معلماً في مدارس الأحساء . شاعر مطبوع مُجيد غزير الإنتاج طويل النفس ، له حضور كبير و مكثف في الإحتفالات الولائية والأدبية ، كتب في معظم الأغراض الشعرية ، له مجموعة شعرية ضخمة بعنوان (عطر المودة) تحت الطبع . ترجمنا له في (معجم شعراء منتدى الينابيع الهَجَرية) الصادر عام 1434هـ وهو عضو بالمنتدى منذ عام 1415هـ .

عين القريض حليفةُ التّسهارِ

مشتاقهٌ للشعرِ والإنشادِ

تماماً هذا هو وصف حال شاعرنا الأستاذ حسين بن عداً المبارك ، زاده اً توفيقاً ، هذا هو حاله مع هاجس الشعر، الذي خامر عقله و قلبه ، وأقصّ مضجعهُ ، وألجّ عليه حتى أثرى ديوان المودة بمآت القصائد الرائعة .

وهذا هو حاله أيضاً مع الإنشاد ، الذي جعله فارساً لا يشق له غبار ، من فرسان الولاء والوجد و الشجى ، و جعل اسمَه علماً في رأسه نارٌ متوهجة في عالم الأدب الرفيع .

وهكذا وصف هو نفسه دون أن يدري ، ليرحني من عناء اختيار وصف مناسب له ، خاصة وأن شهادتي فيه مجروحة – كما يقولون – بموجب العلاقة العميقة والخاصة التي تجمعني به ، منذ شرفني بأول زيارة قبل ما يقارب الثلاثين عاماً ، ليطلعني على باقةٍ من بواكير قصائده ، و منذ أصبح زميلاً في (منتدى الينابيع الهجرية) ثم سكرتيراً لإدارة المنتدى .

ولا يدعك الأستاذ حسين تحير طويلاً ، أو حتى تسأل عن اسمٍ لذلك النبض الذي لا يهدأ ولا

يستريح بين جوانحه :

حبّ * نمّت روجي عليه وأورقت°

جناتها واخضرّ منه فؤادي

حب لا يهيم بصاحبه في وديان التيه ، و لكنه الحب الذي يزيد العقل ثباتا ، والقلب نورًا ، واللسان
حلاوةً و بيانًا :

يا سائلي مَن أنا تُذُبيك قافيتي

فإنها نبض قلبي في عباراتي

أضحى ولائي إلى قومٍ ينص لهم

بالفضل والحق دستور الرسائلِ

وكأنه يسارع إلى إثبات هوية ذلك الحب وإلى وضع عنوان كبير واضح له ، وهل هناك أوضح
وأكبر من اسم (عليّ) عليه السلام ؟ دالةً على الحب ؟ حب ا[] و حب رسوله و صفيّه محمد بن عبدا[]
صلى ا[] عليه وآله ؟ :

لولا (غديرك) يا علي دليلي

أنسى يكون إلى النجاة وصولي ؟

لولاك في دربي منار هدايةٍ

في مسمعي منها صدى التهليلِ

لرأيتَ موج التيه حطامَ زورقي

حتى تحين نهايتي وأفولي

تتعثر الخطوات إن° هي أجفلات°

ما بين مشبوهٍ و بين دخيلي

لولا غديرك ما وجدتُ موانئًا

أرسو بها حتى أتم رحيلي

ويلذ له الحديث عن معشوقه الكبير ، كما هي عادة العاشق المتيم ، لتتواصل ملحمة المناجاة :

مذ كنتَ نوراٌ محدقا في عرشهـ

والغيبُ كي يحميك صار عيونا

حرسكَ عين ا□ في أظافهـ

فكأنها سدلات° عليك جفونا !

يا من به شخص العدالة مائل°

قد أنصف المحروم والمسكينا

ما غرنتِ الدنيا (عَليَّاء) بعدما

قد لوّنتُ أشراكها تلويّنا

ويتتبع خطى أمير المؤمنين عليه السلام بكل وجدانه ، حتى يقف أمامه محمولا على أعناق الرجال ، و
شيبته تقطر من دم فوزه ، ليعتذر عن رثائه :

الشعر يرثي من يموت ، وأنت مَن

يسعى الخلود لكي ينال رضاكا

فيك الحياة تجسدت و تمثلت°

أنت الدليل لها ولي سواكا

يا أيها الوتر الذي ملأ الدنى

قيماً بها قد أنقذ الهُلاك

بك سيدي عرفوا الطريق إلى العُلا

فمشوا بدربك يفتفون خطاكا

و كعادة شاعرنا يجب على الأسئلة قبل أن يطرحها أحد ، فكأن سائلا سأله : وماذا بعد ؟

ليجيب :

هذي ابنة الوحي المبين ومَن بها

نطق الكتاب فكان خيرَ مترجمٍ.

نص الكتاب ونص أحمدُ أنها

وُقِيَّتْ° و شِيَعَتَهَا عذاب جهنّمٍ.

ويتواصل انهما زوب الوجدان الصادق المتوهج ، و شاعرنا ينتقل من أعتاب معصوم إلى أعتاب معصوم آخر ، وعشق (عليّ) عليه السلام يحدو ركائب مودته و يؤجج لهيب وجدّه ، فلإمام الحسن عليه السلام آهة :

يا ربيع الحياة إنّ عقك الوردُ

فقد عّقّ آيةَ الرحمن.

كنتَ بين الرياض أجمل فصلٍ

مذ حكى الماء قصة الأغصان

وللإمام الحسين عليه السلام دمعة :

أنت يامن إسمه خُطّ على

هامة الخلد بحرفٍ من ثبات°

أنت يامن رفعوا فوق القنا

رأسه شمسا أضاءت للسموات راحة

أنت يامن سال من أوداجه

ذلك الإعصار يجتاح الطغاة

وللحجة الموعود - عجل الله فرجه الشريف - سؤال على هيئة عتاب يقطر لوعة :

يا سيدي للصمت حدّ واضح

إنّ طال أغرى طغمة السفهاء

وكأنه يُهدي هذا الديوان ، هذا البوح المقدس إلى آبائه وأجداده اللذين استجابوا للنداء الإلهي (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) ففتحوا عيون قلبه على حب محمد وآل محمد عليهم الصلاة والسلام ، ولأمه الأحساء ، أحساء عليّ عليه و عليها السلام ، التي ضربت جذور هواه في ترابها الطهور حتى اهتزت وربت بمثل هذه القريحة التي ستظل شاهداً على عمق إيمان و طهر و قداسة هذه الأرض المباركة :

بين الجوانح عطر شوق يعبق

من روض قلب بالمحبة يخفق

غنى وقد هز الغرام كيانه

طربا و أضلاع الولاء تصفق

ليست مشاعره تباع و تشتري

لكنها إرثٌ قديمٌ مُعرقٌ

و رغم جمال و روعة ما كتبه الأستاذ حسين في مختلف أغراض الشعر إلا أنني أستسلم لصدق و لبهاء و
لعمق شعره الولائي فأكتفي به شاهداً على ما يمتلكه هذا الشاعر الفحل من إمكانيات إبداعية هائلة .

هنيئاً لكم يا شعراء (هجر) على هذا الحظ العظيم ، وعلى هذا الاصطفاء المبارك ، لخدمة
القيم المقدسة ، والمبادئ السامية . وهنيئاً لك يا أستاذ حسين هذا الولاء العتيد الذي هو غني بما
فيه من صدق و جمال عن أي وصف وعن أي إطراء .